

بناء الصرح

مسرحية من فصل واحد
بقلم: فيصل سعيد بالعمش
المشهد الأول

جدار مكون من عدة لبنات وهي عبارة عن مكعبات
كرتونية مكتوب عليها «الصرح»:

صوت من الخارج: (كان صرحاً عظيماً في يوم من
الأيام يظل الناس تحته، يحتمون بحماه، ويصد
عنهم أعداءهم، وقف ذلك الصرح شامخاً على مدى
القررون... ولكن.. ولكن الأوغاد والخونة لم يرقهم
ذلك.. وأرادوا هدم هذا الصرح فوق رؤوس
الأبرياء.. وكان لهم ما أرادوا.. فقد مكثوا سنين
ينخرون في قاعدة هذا الصرح العظيم، ويستبدلون
بلبناته القوية الصلبة لبنات ضعيفة مهزوزة.. ثم
.. ثم كانت القاضية.. استطاعوا أن يهدموا الصرح
فوق رؤوس أهله.

أثناء هذا الكلام تظهر على المسرح مجموعة الأوغاد
ترتدي ملابس سوداء... تتهامس.. تضع الخطط في
صمت.. ثم يهدمون الصرح بدفع هذه اللبنات.
نشيد

(لما سقط الصرح بكينا

وبكى حتى الحزن علينا).

المشهد الثاني

(يفتح الستار)

مسعود: (محاوياً تضخيم صوته): .. أنا خالد بن
الوليد.. سيف الله المسلول.. أيها الجنود..
أيها المسلمون إن الصرب يهجمون عليكم
هجمة رجل واحد فاثبتوا لهم ولا
تتزعزحوا.. الصبر الصبر! فإنما ينتصر
اليوم أصبر الفريقين.. سنفتح سراييفو
اليوم بإذن الله.. يا قيس بن هبيرة: أنجد
الميمنة واكفها ما أمامها.. يا عمرو بن العاص
اثبت.. (يدخل أبوه فيقاطعه).

الأب (منادياً): مسعود.

مسعود (يرتجف من الخوف): نعم.. نعم يا أبي.

الأب: هل أحضرت شهادتك من المدرسة.

مسعود: هاه.. آآ نعم لقد أحضرتها.. ولكن من
الأفضل ألا تراها يا أبي.

الأب (ساخراً): لماذا؟ لماذا وأنا متأكد من
النتيجة..؟ أه.. أه يا بني لقد أفقدتني الأمل
فيك.. أرني إياها.

(يناوله مسعود الشهادة مطأطئاً رأسه).

الأب: ماذا..؟ ألهذا الحد..؟ راسب في مادة القرآن
الكريم! إنا لله وإنا إليه راجعون. لقد أضعت
عمري في تربيته ثم تكون هذه هي
النتيجة.. إنا لله وإنا إليه راجعون.. يا أم

مسعود.. يا أم مسعود (يخرج).

أنجديني قبل أن يفقدني ابنك عقلي.

مسعود: (يرمي الشهادة): أوه.. أبي أماله دوماً في

الشهادة.. (مقلداً صوت أبيه في سخرية) كم

درجتك؟ .. نجحت أم لم تنجح؟ أما أنا

فطموحي أكبر من ذلك.. (يعود للتمثيل) يا

حبيب بن مسلمة انطلق بخيلك والحق بخيل

الصرب، يا قعقعا بن عمرو...

(يقلق الستار)

المشهد الثالث

(يفتح الستار يظهر محمود يمثل دور هارون

الرشيد ودور حاجبه معاً)

محمود (الرشيد، ينظر إلى السماء): يا سحابة.

أمطري حيث شئت فسيأتيني خراجك..

(الحاجب): سيدي الخليفة.. رسالة لك من ملك

الروم..

(الرشيد): ناولنيها (يأخذها، يفتحها، يقرأها، يبدو

الغضب على وجهه) ماذا أيهددني..؟! أيها

الكاتب..

(الكاتب): نعم نعم.. يا سيدي.

(الرشيد): اكتب.. اكتب عندك: من هارون أمير

المؤمنين .. إلى .. كلب الروم.. (صوت من

الخارج يقاطعه)

(من الخارج): محمود.. محمود.. الصلاة على وشك

الانتهاء.. اذهب يا بني وصل مع الجماعة.

محمود: أوه يا أمي.. قطعت علي حبل أفكاري..

أتركيني الآن سأصلي فيما بعد.. فيما بعد..

أيها الحاجب أكمل الكتاب.. من هارون..

(يُفلق الستار).

المشهد الرابع

(يفتح الستار يرى محمود جالساً وسالم يدور

ويتحدث)

سالم: لقد تخيلت بالأمس أنني صلاح الدين، وأنتي

قادت المسلمين في حرب ضد إسرائيل،

واستطعنا أن نهزمهم في معركة حطين

ثانية: (يمثل) أيها الجنود.. خذوا علي عهداً ألا

أتبسم حتى نسترد المسجد الأقصى.. أيها

الوزير.. أصدر الأوامر للجيش فليستعد..

فسنهاجم تل أبيب في الصباح الباكر..

(يقاطعه محمود).

محمود: ما هذا يا سالم أهذه كل طموحاتك.. ياله

من طموح ضعيف.. تريد أن تكون صلاح

الدين لتفتح القدس ثم تتوقف مكانك.. أما أنا

فطموحتي أكبر من ذلك.. لقد تخيلت أنني خليفة

المسلمين العظيم هارون الرشيد.. كان كل العالم تحت

يدي وملكي.. (يمثل) يا سحابة أمطري حيث شئت

فسيأتيني خراجك.. (يدخل مسعود فيقاطعه).

مسعود: ..ها..ها.. ما هذا؟ ماذا أسمع..؟ صلاح الدين.. هارون الرشيد.. وأنتما فاشلان في دراستكما وفي حياتكما.

سالم: ما شاء الله عليك أيها الطالب المجتهد.. نجحت في مادة القرآن الكريم !!

مسعود: ماذا.. ماذا تقصد..

سالم: لا داعي لأن تخبئ عني هذه الأخبار، ولتلتزم حدودك، وإلا فضحتك بما هو أدهى من ذلك..

محمود: أوه.. أألن تكفوا عن هذا النزاع.. يا هارون الرشيد؟ عد.. عد فقد سئمنا الانتظار..

مسعود: ماذا تفعل بهارون الرشيد.. نحن اليوم نحتاج إلى سيف من سيوف الله.. نحتاج إلى خالد بن الوليد.. (يمثل) أيها المسلمون.. اهجموا على الصرب هجمة واحدة ولا تدعوا منهم أحدا..

سالم: أوه.. دعوكم من الرشيد وابن الوليد.. عد يا صلاح الدين وافتتح قدسنا السجين..

صلاح الدين يا شمس فدك الروح والتفس

مسعود: لا.. لا يا سالم نحن بحاجة إلى خالد بن الوليد.

سالم: بل صلاح الدين.

محمود: لا خالد ولا صلاح.. ولكن هارون الرشيد.

(يحدث شجار) لا، بل صلاح الدين.. لا، بل هارون الرشيد.. لا، بل خالد بن الوليد.. (يدخل همام)

همام: ماذا أسمع.. ما هذه التخاريف.. ما هذه المهزلة.. (يطأطئون رؤوسهم)

سالم: أي تخاريف وأي مهزلة.. نحن يا همام نعيد أمجاد المسلمين ونعيد ذكرى القادة الأبطال وننتظر عودتهم.. أسمى هذا مهزلة..

مسعود: نعم.. نعم صدق سالم نحن لا نخرف ولا نهزل.

محمود: نعم نحن صادقون في كلامنا.. أوه.. أين أنت يا هارون الرشيد؟!

مسعود: لا.. بل أين أنت يا خالد بن الوليد؟

سالم: لا بل صلاح الدين.. (يعود الشجار)

همام: (صارخاً) كفى.. كفاكم صياحاً.. لو أن ابن الوليد أو الرشيد أو صلاح الدين عاد وراكم لمات لتوه بالسكته القلبية.

محمود: أتهزأ بنا يا همام، ونحن نبني مجد الأمة؟!

همام: مجد الأمة.. أي مجد هذا الذي تتحدث عنه.. (يتلفت ثائراً) ثم أين تبنون مجد الأمة.. في الهواء.. على صفحات الخيال.. في عقولكم الفارغة؟؟

مسعود: أوه يا همام.. وماذا تريدنا أن نفعل.. إن الله تعالى يقول: {لا يكلف الله نفساً إلا وسعها} وهذا ما بوسعنا..

همام: هذا ما بوسعكم.. أنت دوماً هكذا ليس لديك إلا الأحلام.. أليس بوسعكم أن تجتهدوا في دراستكم فتخدموا أمتكم.. أليس بوسعكم أن تكونوا قدوة لغيركم فتحافظوا على صلاتكم.. أليس بوسعكم أن تتعلموا كتاب ربكم.. أليس بوسعكم؟؟ (يقاطعه

(مسعود).

مسعود: أوه يا همام.. دراستنا؟؟ صلاتنا؟؟ إلى متى تزعجنا بكلامك هذا..

همام: يا مسعود إن لله سننا كونية لا تتغير.. والله تعالى يقول: {إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم}..

محمود (متأثراً): نعم.. نعم يا مسعود لقد صدق همام.. نحن غارقون في بحر من الأحلام ليس له آخر.. بعيدون عن واقعنا أشد البعد..

سالم: ولكن يا.. (يقاطعه محمود)

محمود: لا تخاذع نفسك يا سالم.. لأن نعترف بخطئنا خير لنا من أن نسير مع الأوهام.

مسعود: ولكن أين المخرج.. أين المخرج يا جماعة؟!

همام: أيها الأحبة.. لا بد أن نعيش واقعنا.. لا بد أن نبني الصرح على أرض الواقع من جديد.. لا بد أن نتكاتف جميعاً.. كل منا يقف على ثغر من ثغور الإسلام.. حتى نصل إلى الأمل المنشود.. والآن هيا معي لنبدأ العمل.

الثلاثة: هيا هيا يا همام.. (يخرجون)

(يغلق الستار)

المشهد الخامس

(يدخل الأربعة ومعهم ثلاثة آخرون، سالم: طبيب، مسعود: مدرس، محمود: صحفي، رابع: خطيب، خامس: مهندس، سادس: أديب)

سالم: أه.. لقد مضى من العمر سنوات.. ولكننا ولله الحمد استطعنا أن نعمل شيئاً للإسلام.. والآن بعد أن تعلمت الطب.. أستطيع أن أساهم في بناء الصرح.. سأعالج المرضى وأداوي المحتاجين.. ساكون قدوة للأطباء وأزرع بذور الخير في كل من حولي.

مسعود: أما أنا وبعد أن قضيت سنوات في الجامعة.. سأعود لأبني جيلاً جديداً.. ساكون لهم المدرس والأخ والقدوة.. وسأربيهم على منهج الإسلام ليكونوا جنوداً له ولو بعد حين.

المهندس: أما أنا فسأساهم في تطوير الصناعة في بلادنا.. سأساهم مع إخواني المهندسين في ذلك حتى نصنع في يوم من الأيام كل ما تحتاجه أمتنا.

همام: رائع.. رائع أيها الأحبة.. إذن فكل منا على ثغر من ثغور الإسلام.. أنت مهندس وذاك طبيب.. وأنت صحفي وذاك خطيب.. وأنت مدرس وذاك أديب.. وليكن كل منا بعد ذلك أنموذجاً متحركاً لهذا الدين.. والآن هيا لنبدأ بناء الصرح من جديد.

سالم: نعم هيا.. هيا

الجميع: لنين.. الصرح من جديد، لنين.. الصرح من جديد.. (تنخفض الإضاءة.. يتفارقون.. يحضر كل منهم لبنة.. يضعها ثم يأخذ مكانه للرشيد.. يظهر في بنائهم جزء من عبارة «مطلع الفجر»)

نشيد (مطلع الفجر)